# الشرق الأوسط.. في انتظار العاصفة

المنطقة مقبلة على المزيد من التصعيد

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تتغيّر الأوضاع في الشرق الأوسط بوتيرة لا سابق لها في ظل انشغال العالم بانتشار وباء كورونا... وفي ظلّ ما هو أسوأ من كورونا في المدى البعيد. ما هو أسوأ من كورونا، الذي سيغيّر العلاقات الاجتماعية وعادات العمل، يتمثّل في هبوط سعر برميل النفط الذي سيترك آثارا في بلدان عدّة إنْ على صعيد نمو الاقتصاد أو الاستعانة بالعمالة الأجنبية... أو على الصعيد الرياضي وكرة القدم وفرقها العريقة في أوروبا.

لم يوقف الوباء الاستعدادات للعاصفة المرشّحة لأن تهبّ في الأشهر القليلة المقبلة، أو ربّما قبل ذلك على الشرق الأوسط، في ظلّ رفض النظام الإيراني القبول بأنّ ليس أمامه سوى الاعتراف بهزيمة مشروعه التوسّعي والانكفاء في اتجاه الداخل. من المستبعد تراجع إيران التي لا تقبل الاقتناع بأن ليس لديها ما تصدّره إلى خارج حدودها غير النفط والسجّاد وما يعرف في منطقتنا بالفستق الحلبي!

**لم يسبق للشرق الأوسط أن مر بمرحلة شبيهة بالتي يمر فيها هذه الأيام، فكل المؤشرات تنذر بعاصفة عاتية**

الأكيد أنّ هناك من يرفض رؤية التغييرات التي تحدث في المنطقة بدءا بالعراق وانتهاء بلبنان، مرورا بسوريا في طبيعة الحال. لا يزال هناك من يعتقد أنّ في الإمكان إنقاذ النظام السوري وأنّ لهذا النظام مستقبلا ما، فيما تبدو روسيا نفسها عاجزة عن إيجاد استراتيجية لها في بلد أرسلت إليه قوات ومقاتلات وقاذفات وأقامت فيه قاعدتين عسكريتين وربّما أكثر. تكتشف روسيا في السنة 2020 أن مشاكلها الداخلية، بما في ذلك الانتشار السريع لوباء كورونا، ستكون في المدى البعيد أهمّ بكثير من البقاء في سوريا.

لعلّ الأهم من ذلك كلّه أنّها اكتشفت أن البضاعة السورية صارت كاسدة. لم تعد تجد من يشتريها، بما في ذلك من يشتري العائلة الحاكمة التي بدأت التجاذبات في داخلها تأخذ منحىً جدّيا وخطيرا يعمل كبار العلويين على منع تفاقمه.

لا يقتصر التغيير على العلاقة بين النظام السوري من جهة وموسكو من جهة أخرى. هناك تغيير كبير يحصل في العراق. ستكون أمام العراق أسابيع حاسمة في ضوء تشكيل مصطفى الكاظمي حكومته. سيتبيّن هل سيكون هناك أمل في إنقاذ ما يمكن إنقاذه في العراق وبناء نظام جديد قابل للحياة على أنقاض النظام الذي قام بعد الاحتلال الأميركي في السنة 2003 والذي تبيّن أنّه أقرب إلى كارثة وطنية من أيّ شيء آخر.

لا شكّ في أن بارقة أمل عادت تظهر في العراق الذي انطلقت منه الاندفاعة الثانية للمشروع التوسّعي الإيراني بعدما سلّم الأميركيون البلد إلى إيران محقّقين لـ"الجمهورية الإسلامية" ما يشبه الحلم. إنّه حلم الانتقام من العراق الذي خاض حربا استمرت ثماني سنوات من أجل منع آية الله الخميني من تصدير ثورته إلى الخارج في العام 1979. تكمن بارقة الأمل العراقية في استعادة مؤسسات الدولة، خصوصا الجيش، في ظلّ التحديات ذات الطابع الاقتصادي أوّلا، وهي تحديات جاءت بعد تبديد كل هذه المليارات من الدولارات في السنوات القليلة الماضية.

سيكون السؤال المطروح عراقيا، بغض النظر عن التحديات الاقتصادية التي تواجه حكومة الكاظمي، هل سيتمكن العراق من استعادة مؤسساته الوطنية، في مقدّمها الجيش... أم يظل خاضعا لـ"الحشد الشعبي" الذي ليس في نهاية المطاف سوى تكتل لميليشيات مذهبية تابعة لأحزاب تابعة بدورها لإيران!

لا مكان في العراق لـ"الحشد الشعبي" في حال كان مطلوبا القيام بانقلاب حقيقي لإثبات أن لا سلاح شرعيا غير سلاح الجيش العراقي وأنّ المشروع الإيراني في العراق، وهو مشروع قائم على تكرار تجربة "الحرس الثوري" في "الجمهورية الإسلامية" لا مكان له في هذا البلد.

إذا وضعنا جانبا المأزق الروسي في سوريا والتغيير الكبير الذي يمكن أن يشهده العراق، لا بد من التوقف عند حدث كبير يفترض عدم مروره مرور الكرام. في أساس هذا الحدث تشكيل حكومة "طوارئ" في إسرائيل. لو لم يكن هناك انطباع بأن المنطقة مقبلة على أحداث كبيرة، لما تشكلت مثل هذه الحكومة مع ما يعنيه ذلك من إعادة اعتبار لبنيامين نتانياهو المتهّم رسميا بالفساد. هناك جنرالان مهمان في وزارتي الدفاع والخارجية من حزب أزرق وأبيض الذي وافق على تعويم "بيبي" مجددا. الجنرالان هما بني غانتس وغابي اشكنازي. كان كلّ منهما رئيسا لأركان الجيش الإسرائيلي. الرجلان معروفان بشراستهما. هل سيشرفان على مشروع ضمّ جزء من الضفّة الغربية لإسرائيل، كما وعد "بيبي" أم يسعيان إلى التهدئة حيال تنفيذ مشروع الضمّ؟

الأكيد أن الحكومة الإسرائيلية الجديدة لن تسعى إلى ضمّ جزء من الضفّة الغربية فحسب، بل ستسعى أيضا إلى ضم غور الأردن. ستعمل باختصار على خلق واقع جديد في المنطقة يشكّل إحراجا شديدا للمملكة الأردنية الهاشمية وللملك عبدالله الثاني الذي لم يتردد في التحذير من عواقب مثل هذا التوجه الإسرائيلي وانعكاساته على مستقبل العلاقات الأردنية – الإسرائيلية.

أكّد العاهل الأردني أخيرا أنّ كل الخيارات ستكون مطروحة مع إسرائيل. لم يعد في إسرائيل من يريد أن يأخذ في الاعتبار دقّة الموقف الأردني، على الرغم من وجود معاهدة سلام بين البلدين وقعت في تشرين الأوّل – أكتوبر من العام 1994.

تحولت إسرائيل بسبب المشروع التوسّعي الإيراني الذي يخيف العرب أكثر من أيّ شيء آخر، إلى اتباع سياسة أقل ما يمكن أن توصف به أنّها ذات طابع انتهازي. كرست احتلالها للجولان وتريد تكريس احتلالها لجزء من الضفّة الغربية وغور الأردن.

يحدث ذلك في وقت ينهار فيه كلّ شيء في سوريا وفي لبنان حيث لا وجود لقيادة سياسية تفهم شيئا عمّا يدور في المنطقة والعالم وكيف تكون هناك سياسة اقتصادية ناجحة. في سوريا رئيس لنظام لا يستوعب معنى الاستعانة بإيران وميليشياتها ولا يعي معنى أن تصبح تركيا أمرا واقعا في الشمال السوري وأن تصبح استعادة الجولان المحتل منذ العام 1967 ملفّا منسيا... وفي لبنان حكومة لا تستطيع فهم معنى انهيار النظام المصرفي اللبناني... وأبعاد غياب الجواب المطمئن والواضح عن سؤال في غاية البساطة من نوع: أين راحت أموال اللبنانيين والعرب والأجانب التي أودعت في المصارف؟

لم يسبق للشرق الأوسط أن مرّ بمرحلة شبيهة بالتي يمرّ فيها هذه الأيّام. تنذر كلّ المؤشرات بعاصفة عاتية، ربّما جاء مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي في زيارة خاطفة إلى إسرائيل في هذا التوقيت بالذات لتأجيلها لا أكثر...

# الرسائل المُرجَعة من خامنئي إلى ترامب

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لم يعد خافيا أن النظام الإيراني محاصر ومحبط ومنهك ويعاني من مصاعب عديدة متنوعة، أهمها الشحة الحقيقية الكبيرة في السيولة النقدية التي جعلته عاجزا عن الوفاء بأهم التزاماته الضرورية الداخلية تجاه مواطنيه، وبالكثير من واجباته التمويلية لوكلائه في الخارج، فراكمت عليه نقمةً شرائح واسعة من الفقراء المتضررين بالعقوبات الأميركية وكورونا.

والأكثر إثارة لنقمة المواطن الإيراني هو حجمُ الفساد الذي التصق، في قناعة الملايين من الإيرانيين، بالمعممين المنسوبين للقيادات العليا في النظام، إلى حد أن أي معمم، اليوم، حتى وإن لم يكن ضالعا في الاستغلال والاختلاس، صار مكروها وغير محترم وموضع شك وريبة.

الأمر الذي دفع بموالين ومعارضين في الداخل، ومنهم الرئيس الأسبق محمد خاتمي، وبأعداء وأصدقاء في الخارج، إلى تحذير المرشد الأعلى من انفجار شعبي مرتقب قد يُهدد وجود النظام كله، هذه المرة، إن لم يسارع إلى اتخاذ إجراءات حقيقية جادة لتفادي هذا الخطر الداهم الكبير.

ويعترف قادة النظام أنفسُهم بتأثير العقوبات الأميركية على الاقتصاد الإيراني، بالإضافة إلى ما أضافه تفشي فايروس كورونا على كاهل الاقتصاد الإيراني من أضرار أشدَّ فداحة من العقوبات، حيث أدى إلى تعثر الحركة التجارية في الداخل، وتراجع العمليات التصديرية إلى دول الجوار.

تضاف إلى كل ذلك الانتفاضاتُ والاحتجاجات الشعبية في العراق ولبنان التي أربكت النظام، ودفعت بشرائح واسعة من الإيرانيين، ومنها مجاميع كانت موالية، إلى استهجان سياسة النظام القائمة على العناد والتحدي، وإلى عدم التعويل على الأحلام التي ظل النظام يدغدغ بها مشاعر الإيرانيين القومية.

وظل النظام يطالبهم بالصبر على الحصار والعوز والفقر مقابل إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، والهيمنة على ثروات الدول الغنية التي أتم النظام احتلالها، أو التي يسعى إلى احتلالها، خصوصا وأن الهيمنة الاحتلالية على العراق وسوريا ولبنان واليمن لم تعد تُحتمل لا من المواطن الإيراني ولا من النظام نفسه، بعد أن أصبحت نيرانا مرتدة لا تصيبُه وحده بمقتل، بل المجتمع الإيراني كله، وعلى جميع الأصعدة، وفي جميع الميادين.

وتبعا لذلك فقد أصبح الإيرانيون، وخاصة المعارضين منهم في الداخل الخارج، يشعرون بهشاشة النظام وضعفه وتناقص قدراته على المواجهة، ويتوقعون نهايته التي أصبحت مسألة وقت لا غير.

مناسبة هذا الكلام ما روجه المتفائلون من السياسيين والإعلاميين الإيرانيين والعرب والأجانب الذين التقطوا تغريدة المرشد الإيراني علي خامنئي على حسابه الفارسي على تويتر، والتي امتدح فيها الصلح الذي عقده الإمام الحسن بن علي مع الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، معتبرين تلك التغريدة ضوءا أخضر للحكومة بضرورة البدء بالتمهيد البطيء المتأني لعملية التفاوض مع إدارة الرئيس الأميركي ترامب، على أساس (وما حيلة المضطر إلا ركوبها).

ولكن العارفين ببواطن أمور النظام، وبطبيعة المرشد الأعلى الشخصية المجبولة على التقية والمناورة والمداورة عند تفاقم الأخطار،

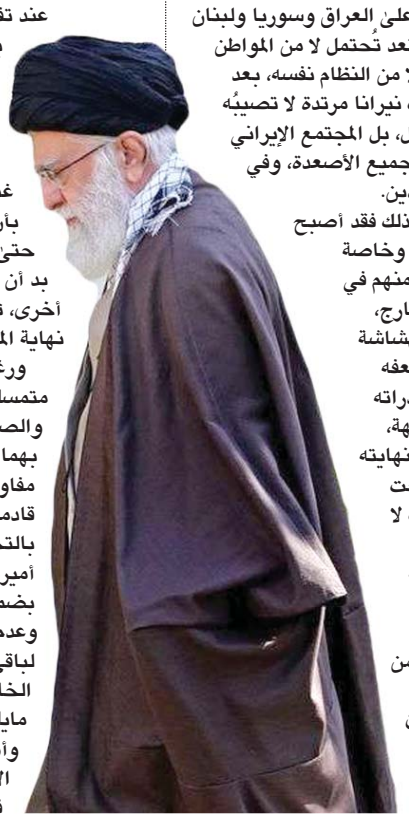

يؤكدون أنه لن يُحقق لأولئك السياسيين والإعلاميين الحالمين أحلامهم. وذلك لأنه، قبل غيره، يعلم علم اليقين بأن أي تنازل لأميركا، حتى لو كان صغيرا، لا بد أن يجرَّ إلى تنازلات أخرى، ثم أخرى، وحتى نهاية المسلسل الطويل.

ورغم أنه غير متمسك، كثيرا، بالنووي والصواريخ، ويحتفظ بهما للمقايضة في أي مفاوضات محتملة قادمة، إلا أنه لن يغامر بالتخلي عنهما إلا بتعهد أميركي أوروبي قاطع بضمان بقاء نظامه، وعدم مطالبته بالانصياع لباقي شروط وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، ومنها وأهمُها ملف حقوق الإنسان، والتدخل في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وتمويل الجماعات التي صنفتها أميركا إرهابية، ومنها أحزاب وتنظيمات وميليشيات يعتبرها المرشد الأعلى طوق أمانه، وحزام حماية نظامه الوحيد.

**أميركا أصبحت أكثر يقينا بأن نظام الخميني، اليوم، قد بلغ أرذل عمره القصير وأقصى حدود ضعفه وارتباكه وما عليها سوى أن تنتظر موسم الحصاد الأخير**

فقبل شهور، مثلا، سخر المرشد الأعلى من جهود روحاني الرامية إلى البحث عن فرص اتفاق مع الدول الأوروبية الثلاث، ألمانيا وبريطانيا وفرنسا. وقال، وفقا لما نقلته وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية "لا أثق بهذه البلدان الثلاثة، لا تثقوا بها أنتم أيضا. إذا أردتم عقد اتفاق فلنحصل على ضمانات عمليّة، وإلا فإنَّ هؤلاء سيفعلون ما فعلته أميركا".

والخلاصة أن خامنئي موديل 2020 هو نفسُه خامنئي موديل 1979، مع فارق وحيد هو اشتداد حاجته للتقية. فدون تدخلاته في دول المنطقة، ودون ميليشياته ونفوذه في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وبعودته إلى عقر داره، كما تريد منه أميركا أن يفعل، سيكون كمن يضع حبل المشنقة حول رقبته شخصيا، وحول رقاب معاونيه ونظامه كله في النهاية.

أما تغريدتُه التي امتدح فيها صلح الإمام الحسن مع عدوه اللدود معاوية، ودعوة المتحدث باسم الحكومة الإيرانية علي ربيعي لأميركا إلى تبادل السجناء، وبيانات وتصريحات أنصاره العراقيين المطالبة بالمساعدة الأميركية، فليست، كلها، سوى بالونات اختبار فقط لا غير.

والذي لا بد أن يُحزن خامنئي ومساعديه ووكلاءه العراقيين هو أن رسائله الموجهة إلى ترامب لم يستلمها المرسَل إليه، وعادت إلى المرسِل دون جواب.

فالظاهر الثابت أن أميركا لم تشغل نفسها بكل هذه التسريبات الخجولة، وذلك لأنها أصبحت أكثر يقينا بأن نظام الخميني، اليوم، قد بلغ أرذل عمره القصير، وأقصى حدود ضعفه وارتباكه وضيقه وعزلته، وما عليها سوى أن تنتظر موسم الحصاد الأخير.

تحدث المرصد السوري لحقوق الإنسان، مؤخرا، عن قيام تحالف بين الولايات المتحدة وروسيا وإسرائيل يهدف إلى إنهاء الوجود الإيراني في شرق سوريا، وإغلاق طريق (طهران – بيروت الدولي)، بعد أن فشلت روسيا حتى الآن في إقناع إيران بضرورة سحب قواتها من البادية.

وأفادت مصادر استخباراتية أميركية وإسرائيلية بأن الإيرانيين قاموا في اليومين الأخيرين بتغيير مواقع قواتهم في سوريا، خشية الغارات الإسرائيلية. فقد تم نقل لواء (فاطميون) من دير الزور إلى تدمر، واللواء 313 من دير الزور إلى منطقة السيدة زينب، قرب دمشق.

وفي الوقت نفسه هددت الولايات المتحدة، علنا، بتفعيل العودة إلى فرض جميع عقوبات الأمم المتحدة على إيران، إذا لم يمدد مجلس الأمن التابع للمنظمة الدولية حظر الأسلحة على طهران المقرر أن ينتهي أجله في أكتوبر القادم، بموجب اتفاق إيران النووي. والحبل على الجرار.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk